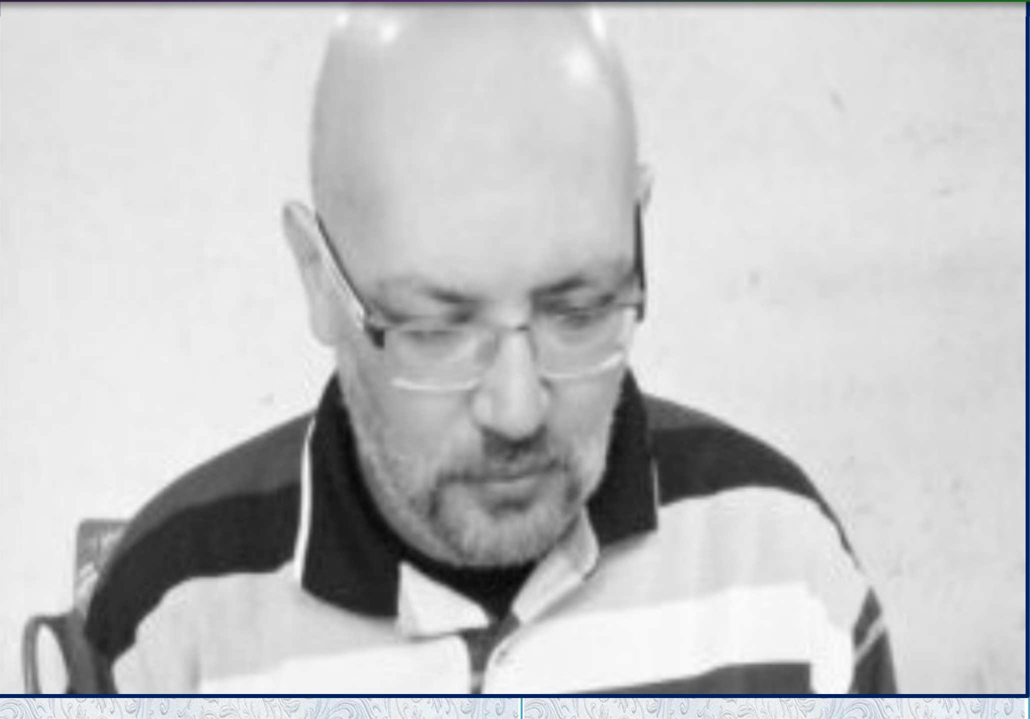
«ملحق العدد 76»

ملحق العدد 76 يوم الثلاثاء 1 ذو القعدة 1446هـ الموافق 29 أبريل/ نيسان 2025م

1

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

حكايات من حارة جعيجر بقلم : محمد فتحي شعبان



(البت بسة)

قبل الفجر بقليل في (دغويشة الفجر) تسير (زهور) في شوارع السوق حاملة فوق رأسها (صنية) الفطير، تنادي بصوت ناعم (فطير بالعسل يا عسل)، تنادي باسمي (فطيرة بالعسل يا استاذ خيري) ...أشير إليها بالإيجاب، تأتي إلى المحل تناولني الفطيرة.. أرى على كفيها رسوم الحناء، أسرح قليلا مع بياض كفيها واحمرار الحناء، أسمع صوتها (اتفضل يا استاذ) أتناول منها الفطيرة مردداً (مرحب يا نقراش الحنة) تبتسم ثم تمضي.

في السوق متسع للجميع والكل (بيسترزق) البنت (بسة) تبيع أرزاً باللبن لكنها مثل قطة شرسة تخربش كل من حاول التلامس معها لكنها تكون أنعم من الحرير مع (السيد نقاوة) ذو الرأس الضخم والأطراف الكبيرة، الذي يرتب أدوار السيارات في الموقف، يفرد عليها جناحيه ويحميها من أي أحد.

الشيخ (عبده المنفي) يظهر قادماً من أحد الأزقة يدفع عربة الفول والبليلة أمامه يهز الجرس في يده ويردد كلمات غير مفهومة بصوته الجهوري (أليلة لووووول)، أحكي معه دوماً في أحوال الدنيا والآخرة فهو كما كان يقال عنه (دارس في الأزهر أيام زمان).. كان جده الكبير الشيخ إبراهيم بن محمد شيخ من شيوخ الأزهر وقد نفاه الإنجليز خارج مصر المحروسة في الشام

حكايات من حارة جعيجر بقلم : محمد فتحي شعبان

فصار المنفي لقب للعائلة، ورجع من هناك وقد تزوج امرأة شامية حلوة كان الشيخ عبده يشبهها فكان صاحب ملامح شامية، وعلى حد قول البنت بسة: (أبيضاني وحليوة وعيونه خضر).

المهم كنت متعلقاً بزهور بائعة الفطير ذات الملامح الحلوة (والتقاطيع المسمسمة) بدوية كانت تتمخطر في مشيتها فيهتز قلبي مع كل اهتزازة في جسدها، أحاول أن أبدو (ثقيلاً) عندما تمر كل صباح وتناولني الفطيرة لكن رغماً عني تلتصق عيناي بها وهي تحدثني، عندما حدثت مشادة بينها وبين بسة على الزبائن وحاول السيد نقاوة فرض سيطرته عليها تصديت له وتشاجرت معه رغم كل ما تلقيت من ضربات فوق رأسي (روسيات) إلا أني لم أتراجع وصمدت للنهاية، كانت بسة كلما مررت أمامها تنظر لي نظرات تقول الكثير من الكلام، لكني لم أشغل بالي.

في المساء تقابلت مع الشيخ عبده المنفي على المقهى في آخر السوق، زيزة هكذا كان اسمها امرأة شابة في بداية عمرها.. تقف أمام القهوة بفترينة سندوتشات كبدة.. الريحة تهفهف تشعرنا بالجوع، أكلت ستة أرغفة فينو والشيخ عبده أكل ثلاثة، كانت مثل الذكر تلبس بناطيل وقمصان رجالي، لكن يوماً رأيتها خارج السوق فرأيت امرأة مليحة، كانت زهور هي الأولى وتتبعها كل النساء.

بسة جاءت صباحاً تريد مصالحتي والاعتذار عما فعله نقاوة، وضعت يدها فوق كتفي أمسكت بيدها أبعدها عن كتفي، وجدتها ناعمة طرية فتركتها في يدي لكن بسة انتبهت وسحبتها من يدي وابتعدت مكررة الاعتذار، مر نقاوة من أمامي ثم تقدم إلي واعتذر هو الآخر، الحمد لله لم تخبره بسة أني أمسكت يدها، لم تظهر زهور اليوم في السوق لكن لم أستطع الذهاب إليها والسؤال عنها.

أحضرت بسة طبق أرز باللبن ولم تأخذ حسابه، تأملت جسدها حين استدارت راجعة إلى مكانها، تبدو مليحة هي الأخرى لكن لم يهتز قلبي معها.

لليوم الثاني لم تأتي زهور لكن اختها مرت اليوم حاملة فوق رأسها صينية الفطير، دفعت إلي فطيرة بالعسل... سألتها عن زهور فردت (مستاجعة) مريضة هي إذن طلبت منها إبلاغ سلامي إلى زهور، بسة كانت ترمي بنظراتها إلينا، الشيخ عبده كان على ناصية السوق اسمع صوته مرتفعاً أليييلة لووووول

(عبده المنفي)

مع صلاة الفجر تراه يدور في السوق بعربة الفول والبليلة، يدفعها أمامه في صمت، يتركها أمام المسجد ثم يدخل للصلاة، عبده المنفي فارع الطول شديد البنية ورغم ما وصفته به البت بسة أنه (أبيض وحليوة وعيونه خضر) إلا أنه كان خشناً جهوري الصوت لا يتوافق شكله مع صوته وطريقة عيشته، كان خليطاً من البدو القريبين من مدينتنا وأهل الصعيد، فقد عاش بينهم طويلاً.

كعادته وجدت عربته أمام المسجد مع صلاة الفجر، عندما انتهى من الصلاة وقف في زاويته المعهودة، ذهبت إليه ألقيت عليه التحية تهلل وجهه حين رآني وبدأ في أحاديثه الشيقة.

الصباح جاء يمشي على استحياء.. يسحب الليل عساكره ويمضي إلى رجعة قريبة، الناس يتوافدون إلى الطريق وتبدأ المحلات في فتح أبوابها...

حكايات من حارة جعيجر بقلم : محمد فتحي شعبان

نادية العلمة قادمة من بعيد تمشي مستندة إلي عصاة خطواتها بطيئة، سرحت قليلاً ثم عدت إلى الأرض، أتت إلي عربة الفول أعطاها عبده طلبها ثم مضت تسحب قدميها ، تبعتها عيناي حتي اختفت مع أحد منحنيات الطريق ، نظرت إلي عبده وكأنه فهم قصدي فأخذ في الحكايا عنها وأنها كانت راقصة تهز الافراح هزا بهز جسدها ، ركبت جواد الخيال و رأيتها ترقص كان الجواد جموح ابي أن يريني إياها شابة لكن في نهاية الأمر ترك لي قياده ،رأيتها شابة بهية الطلعة تكشف من جسدها أكثر مما تخفي ، تتمايل و تتمايل معها القلوب والأجساد وإذا هزت نهديها و أردافها ارتجت الأرض واهتزت ، حتي نظرات عينيها تتراقص ، تغمز لأحدهم يقفز قلبه من مكانه ويرقص حولها ،عاند جواد الخيال.. رأيتها عجوزاً تنظر إلي نفسها تحاول هز جسدها فتسقط منها العصا وتسقط أرضا ، هز عبده كتفي فوجدتني ما زالت على الأرض.

(سعيد الأقطش)

وقت الفجر الهواء بارد يلف الحارة بثوب من البرد ، يخرج من المسجد ممسكا بعصاه يتحسس بها الطريق ،اتبعه كي أقود خطاه لكنه يقودني إلى خارج الحارة، أعمى مقطوع الأذن تساقطت أسنانه ، أسير معه حتى نصل إلى المقابر.. يسير بينها دون أن يتعثر كأنه يرى ، قادني إلى مقبرة بعيدة في زاوية المقابر ، منفردة عن كل ما حولها ، استند عليها وبدأ يتمتم بكلمات لا أفهمها ، توجه ببصره إلى السماء فتوجهت بنظري إليها وأسئلة تدور برأسي ماذا يرى.. لا شيء سوى ظلمة ، أخذ نفساً عميقاً ثم جال ببصره مرة أخرى في السماء ،أمسك بيدي واتجه خارجاً من المقابر.. نظرت إليه كيف يسير ، زادت سرعة خطواته وقبل أن أحدثه قال (في مطر شديد جاي) لم نكد نصل إلى البيت حتى انهمر المطر.. تبسم حين سمع صوت الرعد وهطول المطر،وقف في مدخل بيته يجول ببصره في السماء ويبتسم في وجه الظلمة ، أخذتني الحيرة أهوا أعمى...

عندما أمسكت السماء ماؤها خرجت إلى الطريق ، كان عبده المنفي يختبئ تحت إحدى الشرفات بجوار عربته ، تبسم في وجهي حين رآني ثم سألني (إيه أحوال اللي كنت عندهم) تعجبت من سؤاله فضحك ، ثم بدأ في الحديث.. سعيد الأقطش الذي اشتهر بهذا بسبب قطع أذنه في إحدى معاركه (كان أصيع واحد في الحارة بس بعد ما اتعمى وماتت مراته ادروش) صار لا ينقطع عن المسجد وعن زيارة قبر زوجته يحكي معها ساعات طوال (وبقي زي ما يكون مخاوي) كان يحكي عن أشياء غريبة أحياناً يهذي بكلام غير مفهوم وأحياناً يقول كلاماً حكيماً ، لا ينقطع أبداً عن زيارة زوجته في كل فجر.

كان لا يقطع حديثه إلا قيامه بتعبئة الفول أو البليلة لأحد الزبائن ، سمعنا صراخاً يأتي من أحد البيوت ، كان بيت نادية العلمة.. سكت عن الحكي واتجه مسرعاً إلى هناك...

(نادية العلمة.. أم صالح)

كان كل شيء عادياً حتى سمعنا صوت الصراخ القادم من ناحية بيت نادية العلمة ، اتجهت وعبده المنفي إلى بيت نادية.. كانت أم صالح تصرخ بأعلى صوتها ونادية ممددة فوق الأرض وجمع من النسوة ملتفات حولها ، والبعض يحاول تهدئة أم صالح التي ظنت أن نادية ماتت ، كانت مجرد غيبوبة سكر.. نقلت نادية إلى المستشفى ومعها أم صالح ،

حكايات من حارة جعيجر بقلم : محمد فتحي شعبان

عدت مع عبده إلى عربة الفول.. ظل صامتاً ينظر إلى الفراغ لم أشأ أن أقطع تفكيره... ذهبت وتركته.

البت بسة كانت في مكانها لم تتحرك، وجدت صينية فطير زهور أمام باب الدكان قلبت فيها ،رأيت زهور قادمة من ناحية بيت نادية تبدو عليها علامات التأثر بما حدث لم تكلمني ناولتني الفطيرة ومضت تدور في السوق.

فتحت الدكان ووضعت كرسي أمام الباب وجلست ، كنت أنظر لبسة (من تحت لتحت) دون أن تلحظ نظراتي ،رأيت أم صالح قادمة مسرعة الخطى استوقفتها أسألها عن نادية ردت إنها بخير ثم تركتني ، ما زالت صورة نادية وهي على الأرض تدور في رأسي ... تذكرت حديث عبده عنها ، أخبرني يوماً أنها كانت تمتلك عمارة كاملة ولكنها تركتها للسكان (زهدت الدنيا باللي فيها وبقت تصلي وتصوم) رغم ذلك ما زال اسم نادية العلمة ملتصق بها حتى عمارتها معروفة باسم (عمارة نادية العلمة) ، عادت أم صالح مرة أخري ذاهبة إلى المستشفى كانت تلبس فستان أحمر غامق (نبيتي) وقد انعكس لونه علي وجهها فبدت أجمل من كل مرة رأيتها فيها ، حاولت إيقافها لكنها استمرت في السير وقد أخبرتني أنها ستعود إلى بعد عودتها من عند نادية.

لم تظهر زهور مرة أخري يبدو أنها ذهبت لبيتها ، بسة ما زالت مكانها كما هي لا أدري من يحب تلك القطة الشرسة لكن السيد نقاوة يليق بها (كل حلة وليها غطاها) هذا ما قالته زهور يوماً وإن كنت لا أدري من تقصد .

مع آخر النهار كانت أم صالح عائدة من المستشفى ،كنت أجلس داخل المحل كان الجو بدأ في البرد ،دخلت إلي المحل ألقت السلام لكني كنت سرحان في انعكاس لون الفستان على وجهها متأملاً جسدها وقد بدت امرأة أخرى غير التي أعرفها...

(عصاية أم صالح)

مرت أم صالح في آخر النهار على الدكان كنت أجلس داخل الدكان، كان الجو بارداً ... كنت أتأمل شكلها بهذا الفستان النبيتي فهي هذه المرة أجمل من كل مرة، حاولت إطالة الحديث معها لكنها تنبهت لذلك وانهت حديثها وتركتني، أقبل الليل سريعاً.. جاء المنفي لنذهب معاً إلى المقهى التي في آخر السوق، طلبت سندوتشات كبدة من زيزة.. كان المنفي يأنف أن يأكل من هذه الكبدة، طلبنا شاي وتحدثنا قليلاً عن نادية.. أخبرني أنه سيذهب هو وزوجته لزيارتها في الصباح فطلبت منه أن أكون في صحبته ،لم تطل الجلسة في المقهى وانصرف كل منا إلى بيته.

لا أحب البقاء وحيداً في البيت يبدو كل شيء حزين ، ليس سوى الجدران أحدثها ، تلك الوجوه التي تظهر ثم تختفي.. وجوه كل نساء الحارة تظهر فوق الحوائط ليلاً.. لكل واحدة حكاية تحكيها وأحكي معها.. كانت الليلة لأم صالح منذ الصباح وأنا منشغل بها ، المرأة الوحيدة في الحارة التي لا أعرف اسمها الحقيقي ، جاءت من أطراف المدينة من سنوات وسكنت حارتنا كانت وحدها لم أري لها ابناً ولا بنتاً، لهجتها كانت بدوية مثل لهجة زهور، أحياناً أراها تحكي مع زهور فلا أعرف ماذا تقولا ، حاولت التقرب منها لكنها كانت (نفرية) حين تشعر أني أريد التودد إليها تنفر مني ، حتى أن صورة وجهها هربت من فوق الحائط وانشغلت بأفكار غريبة تدور في رأسي.

أتى الصباح بعد ألف عام من الليل ،ذهبت

حكايات من حارة جعيجر بقلم : محمد فتحي شعبان

إلى المسجد لصلاة الفجر.. لم أرَ سعيد الأقطش اليوم، عبده المنفي كما هو في مكانه.. لم أشعر بالرغبة في الجلوس معه اليوم.. لا أدري لماذا أخذتني قدماي إلى المقابر؟

(موشا)

وجدتني في المقابر لا أدري لما ذهبت إلى هناك، سبقني سعيد كان وحده بلا قائد سوى قلبه، عند قبرها يحكي حكايات أيامه لها، وقفت إلى جواره.. التفت إلى فجأة وبدأ في حديث غريب، لا أدري ماذا يقول.. تحدث عنها كان ينظر إلى القبر... ذهب دون أن أشعر به فقد كنت في عالم آخر... جلست قليلاً إلى جوار أحد القبور.. كان قبر امرأة كتب على شاهده اسمها (رسمية محمد حسن تاريخ الوفاة١٨/ ١٢/ ١٩٧٠) سرحت مع صاحبة القبر التي لا أعرفها سنوات طوال مرت وهي هنا، ذكريات كثيرة مرت برأسي لأناس رحلوا... بدأ الصباح يهزم الليل ليرحل الليل وليعود مرة أخرى..

دخلت الحارة كانت هادئة... عبده المنفي في مكانه والبت بسة أيضاً مرصوصة أمامها أطباق الأرز باللبن أم بسة ظهرت بعد غياب عن السوق، تجلس بجوار بسة ببعض أطباق الحلويات، تناولت طبقاً ودفعت ثمنه ثم مضيت إلى الدكان، أتت زهور حين رأتني ناولتني فطيرة ساخنة بالعسل ثم ذهبت في طرقات السوق...

جلست داخل الدكان أنظر إلى الأرفف.. لا أدري لما أفتح الدكان مبكراً رغم أن زبائني يأتون متأخرين، زبائني كلهن نساء نسيت أن أخبركم أني أبيع الطرح والأغراض النسائية لكني تعودت على فتح الدكان مبكراً مثلي مثل بقية أهل السوق، دخلت أم صالح إلى المحل، قالت: إنها ستذهب إلى نادية، أخبرتها أني سأذهب مع عبده وزوجته حين يذهبون، أعطيتها بعض النقود لتشتري ما يلزم نادية، حين استدارت لتذهب التصقت عيناي بظهرها تابعت خطواتها حتى اختفت من أمامي...

أغلقت الدكان قرب العصر ثم ذهبت إلى عبده المنفي انتظرت قليلاً حتى جهزت زوجته وذهبنا جميعا إلى نادية، كانت أم صالح ترافقها في المستشفى، تطعمها وتقوم على خدمتها، جلسنا فوق سرير فارغ كانت أم صالح امامي مباشرة، نظرت إلى وجهها كان منيراً مع أشعة الشمس التي تسللت إلى الغرفة، انتبهت إلى حديث نادية وعبده، وكانت زوجة عبده تصلي العصر، استعاذت بالله من الشيطان ثم أخذت بيد عبده العصر في ركن الغرفة، لم تتحرك أم صالح بقيت جالسة مع نادية، أنهينا الصلاة ثم جلسنا قليلاًوذهبنا تاركين ام صالح ونادية.

عدت إلى الدكان وفتحته مرة أخرى، أخرجت الكرسي وجلست أمام الدكان أنظر إلى الرائح والغادي، طلبت كوباً من الشاي وأشعلت سيجارة وذهبت إلى... أخذني الخيال كعادتي، رأيت أم صالح في أبهي زينتها كان شعرها منسدلاً خلف ظهرها، مكحلة عينيها، تتحدث في دلال، تخطو في دلال، كنت مسحوراً بها تكاد عيناي تلتصق بكل ما فيها، مدت يدها إلي أمسكت بها، كان يدور في عقلي سؤال واحد... ترى ما هو اسم أم صالح الحقيقي؟ أفقت حين سمعت لوزة بنت بسة تنادي على قطتها (موشا)...

